223000 ـ هل يجوز أن يدعو بالنجاح مع تقصيره في المذاكرة والإجابة ؟

السؤال

هل يجوز أن أدعو الله بالنجاح رغم تقصيري في الإجابة ؟ فإنه يتملكني يأس رهيب بأن الله لن يستجيب لي ؛ لأني قصرت في المذاكرة والإجابة ، ووالله كل ذلك يقع نتيجة حالة نفسية من الخوف والعجز الشديدين ، حتى كرهت الدراسة . فهل دعائي بالنجاح رغم تقصيري كالدعاء بإثم لأني لا أستحق ؟ وهل يجوز في الأصل ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

ينبغي للمؤمن أن يكون قويا ، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، ومن هذه القوة : القوة النفسية التي يواجه بها الشدائد والصعاب التي تعترضه في حياته ، فإن وقع ما يحب ، حمد الله ، وإن وقع ما يكره صبر على أقدار الله .

ولا يعرف المؤمن العاقل الخوف والعجز الذي يثبطه ، ويقعد به عن طلب معالي الأمور ، وتحقيق آماله وطموحاته ، سواء في أمر دينه أو أمر دنياه المقتصد .

روى مسلم (2664) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ) .

ثانيا :

الأخذ بالأسباب من التوكل على الله ، وليس من التوكل تعطيل الأسباب ، فلا يشرع تعطيل الأسباب بحال ، بل لا يجوز .

ومن أراد النجاح وجب عليه أن يأخذ بأسبابه ، ومن أسبابه الجد في المذاكرة .

كما أن من أسباب النجاح ، ومن أسباب تحقيق المطالب الدينية والدنيوية : دعاء الله عز وجل والتوجه إليه في طلب النجاح .

فالمذاكرة سبب قدري – مادي ، ظاهر ـ للنجاح ، والدعاء سبب شرعي ، والتوكل على الله يجمعهما .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" الواجب على المؤمن أن يعلق قلبه على الله ـ عز وجل ـ وأن يصدق الاعتماد عليه في جلب المنافع ودفع المضار، فإن الله

وحده هو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض ، وإليه يرجع الأمر كله ، كما قال الله ـ تعالى ـ: (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) . وقال الله ـ تعالى ـ: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) . فالواجب على المؤمن أن يعتمد على ربه رب السماوات والأرض ويحسن الظن به .

ولكن يفعل الأسباب الشرعية والقدرية الحسية التي أمر الله ـ تعالى – بها ؛ لأن أخذ الأسباب الجالبة للخير ، المانعة من الشر ، من الإيمان بالله ـ تعالى ـ وحكمته ، ولا تنافي التوكل ، فها هو سيد المتوكلين محمد ، رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، كان يتخذ الأسباب الشرعية والقدرية ، فكان يعوذ نفسه عند النوم بالإخلاص والمعوذتين ، وكان يلبس الدروع في الحروب ، وخندق على المدينة حين اجتمع أحزاب الشرك حولها حماية لها ، وقد جعل الله ـ تعالى ـ ما يتقي به العبد شرور الحروب من نعمه التي يستحق الشكر عليها ، فقال عن نبيه داود: (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) . وأمر الله داود أن يجيد صنعها ، ويجعلها سابغة ، لأنها تكون أقوى في التحصين " .

انتهى من "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين" (1/ 102-103) .

فالمسلم يستذكر دروسه ، ويدعو الله أن يكتب له النجاح والتوفيق .

ولكن إذا قصر في المذاكرة ، فلا حرج عليه في الدعاء ، وخاصة إذا كان تقصيره هذا لعذر أو لعجز أو نحو ذلك ، فإن الإنسان قد تمر به أحوال تثبط همته ، فيتأخر عن أخذ الأسباب ، ولعله بعد ذلك يزول ما به ، ويعتدل حاله .

فلا يضرك ، إن شاء الله ، سؤال الله النجاح ، وإن كنت قصرت في المذاكرة وفي الإجابة ، وليس هذا من الدعاء بالإثم ، لأن الدعاء بالإثم يعني الدعاء بالشيء المحرم ، قال القاري رحمه الله :

" مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ قَدِّرْنِي عَلَى قَتْلِ فُلَانٍ ، وَهُوَ مُسْلِمٌ ، أَوِ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي الْخَمْرَ، أَوِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِفُلَانٍ ، وَهُوَ مَاتَ كَافِرًا يَقِينًا ، أَوِ اللَّهُمَّ خَلِّدْ فُلَانًا الْمُؤْمِنَ فِي النَّارِ ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ الْمُسْتَحِيلَاتِ " انتهى من "مرقاة المفاتيح" (4/ 1525) .

أما سؤال الله النجاح ـ ولو مع التقصير ـ فليس من الدعاء بالإثم ، وليس من الاعتداء في الدعاء ، إن شاء الله ؛ بل غايته أنه يطمع في فضل من الله ، لم يستحقه هو ، ولم يتأهل له بعمله ، وأسبابه ، وكم ممن يفعل ذلك ، ويتعلق بفضل ربه ، في المقاصد الدينية والدنيوية ، وإن لم يكن قد تأهل لها ، وعمل لها عملها .

والمسلم لا يزال يدعو الله ويسأله المغفرة ، مع أنه قد يكون ممن يسرف على نفسه ويفعل السيئات ، ففعل السيئات لا يمنع العبد من الاستغفار ، فكذلك : تقصير العبد في المذاكرة والإجابة لا يمنع من سؤال الله النجاح .

وكذلك : فالمسلم لا يزال يسأل الله الجنة ، ويستعيذ بالله من النار ، ولا يمنعه من ذلك وقوعه في الحرام ، وارتكابه السيئات .

فكذا هاهنا : المسلم لا يزال يسأل الله النجاح في أموره كلها ، وإن بدر منه تقصير .

فإن العبد المسلم لا يزال محتاجا إلى ربه في شأنه كله ، سواء كان مستقيما أو مقصرا .

وقد روى النسائي في "السنن الكبرى" (10330) عن أَنَس بْن مَالِكٍ ، قال: " قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِفَاطِمَةَ: (مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ ، أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ) حسنه الألباني " صحيح الجامع" (1913) .

فعلى المسلم أن يستعين بالله ويحسن الظن به ولا يعجز ، ولا يسلك سبيل أهل الخور والضعف ، وسوء الظن بالله ، وإن بدا منه تقصير في العمل ، فإنه عسى بالدعاء وحسن الظن بالله أن ينصلح حاله ويحسن العمل .
واليأس من رحمة الله وتوفيقه وتيسيره الأمور ليس من أخلاق أهل الإسلام ، ولو مع التقصير .

وانظر للفائدة إجابة السؤال رقم : (11749) ، والسؤال رقم : (127835) .
والله أعلم .